**المحاضرة الثالثة/أدب الرسالة.**

**مقدمة:يكون للكلمة المكتوبة غالبا من التحبير والتفكير والتجميل وحسن الصياغة والعرض ما لا يتاح للكلمة المنطوقة،التي قلما ينجو من عثراتها بليغ أو يخلو من زلاتها متكلم،فكاتب الرسالة بإمكانه أن يغير ما يشاء وأن يثبت ما يريد دون أن يشعر المرسل إليه بالوضع الذي كانت عليه الرسالة في أثناء الكتابة(...) على أن نسبة الخطأ في الكلام المنطوق تتفاوت بين المتكلمين بحسب القدرة على التعبير وقاموسهم اللغوي.([[1]](#footnote-2))**

**1-في مفهوم الرسالة:**

**اشتق لفظ رسالة من المادة اللغوية ( رَسَلَ) التي تدل على معان حسية كثيرة أفاضت أمهات المعاجم العربية الحديث عنها ، وهي : " القطيع من كل شيء"، أو " القطيع من الإبل والغنم " ، أو " الإبل .. قطيع بعد قطيع " .**

**وهي فن التوجيه والإرشاد.**

**وهي:" كل ما يرسل إلى آخر مشافهة أو كتابة ففي موضوع من الموضوعات العامة أو الخاصة وفقا لهوية المرسل إليه وموقعه وطبيعة العلاقة بينهما".([[2]](#footnote-3))**

**2-أنواع الرسائل:**

**هناك من يقسمها إلى اثنتان: الرسائل الإخوانية والرسائل الديوانية،وهناك من يصنفها إلى الرسائل السياسية والاجتماعية( ....)**

1. **الرسائل الديوانية (الرسمية): هي الرسائل التي تعالج مواضيع أو أمور الحكم والسياسة،وهي تصدر عن دواوين الدولة ،وتكتب في المعاهدات التجارية أو السياسية أو شؤون خارجية.**

**و"تطرقت الرسائل الديوانية إلى موضوعات عديدة و متنوعة، فكان منها ما ذكرنا آنفًا أي رسائل الجهاد ،وكان منها أيضا التي ذكرت الفتن والاضطرابات الداخلية التي شهدتها الدولة الإسلامية بعد التشتت و التمزق الذي أصابها،«كما كانت مبايعة الخلفاء من الموضوعات التي تناولتها الرسائل الديوانية،و قد مالت كتب المبايعات إلى الإطناب و التطويل،و كان الكاتب يستهلها بالتحميد،و كثيرًا ما يُطيل في تحميده حتى ليشبه خطبة دينية قائمة بذاتها »([[3]](#footnote-4))**

**ب-الرسائل الاخوانية: هي الرسائل التي تتم بين الاخوة والأصدقاء ، مثل : رسائل الهجاء والاستعطاف وغيرها مما يخرج عن معاني الأخوة والمودة ، ويمكن تسميتها أيضا بالاجتماعية.**

**اتسعت الرسالة الإخوانية للموضوعات المتصلة بالصداقة« كالرغبة في التلاقي للمسامرة أوالمنادمة وعبرت كذلك عن بعض العادات الاجتماعية التي شاعت بين الكتاب آنذاك كتبادل الهدايا من كتب و زهور وخيول و سيوف وغيرها.  
و اتخذ الكتاب الرسالة الإخوانية أداة لتوجيه الشكر إلى إخوانهم لمعروف أسدوه إليهم أو خير اختصوهم به أو معروف أحاطوهم به.»([[4]](#footnote-5))**

**ج-الرسائل الأدبية:**

**"هي التي تتناول خصال النفس الإنسانية،وتصور أهواءها وأخلاقها،وتوضح لها طريقها إلى الخير حتى لا تسقط في مهاوي الشر،وقد تطول بعض هذه الرسائل لتصبح كتابا،ومن ذلك رسائل الجاحظ،رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد،رسالة الغفران لأبي العلاء المعري.**

**ومن أشهر كتاب الرسائل الأدبية:بديع الزمان الهمذاني،ابن شهيد الأندلسي،أبو العلاء المعري،أبو بكر الخوارزمي.**

**ويمكن أن نجمل موضوعات الرسائل الأدبية في ما يلي:**

**-الإخوانيات:تشمل ما كان يجري من المكاتبات الشخصية بين اثنين أو أكثر من إخوان الأدب.**

**-المفاكهات:يدخل فيها المكاتبات الهزلية الأدبية.**

**-المناظرات:أي ما يجري بين الأدباء من محاورات ومناظرات ومنافسات.**

**-الأوصاف:يدخل فيه كل ما يراد به وصف محسوس كالمراكب والمعارك والحيوان،أو غير محسوس كالبلاغة والشعر والصيد والأخلاق،ويلحق الأوصاف المديح والهجاء وما شاكلهما.**

**-الحكايات:يدخل تحتها أنواع القصص المختلفة والمقامات. "([[5]](#footnote-6))**

**والرسائل الإخوانية أنواع(رسائل تعزية،الشكر،الاستعطاف،الاعتذار...).**

**3- شروط الرسالة :**

**لابد من توفر جملة من الشروط، لتكون الرسالة كاملة ،من بينها:**

**-أن تكون واضحة المعالم،خالية من الإبهام والغموض.**

**-أن تكون بسيطة،بعيدة عن الزخرفة والتكلف والتصنع.**

**-أن تكون موجزة،لأن الإطالة يخرج صاحبها عن الغرض .**

**-أن يكون أسلوب الرسالة ملائما لمكانة المرسل إليه ومعرفته.**

**-جودة التعبير،لتترك الرسالة وقع في نفسية المرسل إليه.**

**-يجب أن تتوفر الرسالة على العناصر التالية: المرسل،المرسل إليه والمتلقي .**

**-الموضوعية.**

**-توافق الأجزاء.**

**4-البناء الفني للرسالة :**

**أ-الافتتاح  (الابتداء)أو الصدر: وهي الكلمات التي يستهل بها المرسل رسالته إلى المرسل إليه،وهي تختلف باختلاف الموضوع ،وغالبا ما تفتتح بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ،أو بالدعاء للمرسل إليه،وتعداد خصاله سواء كان أميرا أو حاكما أو وزيرا أو صديقا.**

**ب-  المقدمة : من خلالها يعبر المرسل إليه،عن عواطفه ومشاعره للمرسل إليه،**

**إما بالدعاء له ، أو بإقرائه السلام ، أو غير ذلك حسب طبيعة الموضوع والشخص المكتوب إليه .**

**ج-المقصد والغاية ( والمتن الغرض ) : وهو جوهر الرسالة ، وفيها يتناول المقصد أو الغاية الرئيسية الذي كتب من أجله الرسالة ، وينبغي عدم الإسهاب ، والاقتصار على تفصيل هذا الغرض بالذات .**

**د-  الخاتمة : ويسميها بعض القدماء (المقطع) وهي الطريقة التي يختم المرسل ، أبعبارات تؤكد العواطف والأفكار التي جاءت في صلب الرسالة . ومن صور الختام : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ، " والله تعالى يجعلنا وإياكم ممن شكر النعمة وآثر العمل الصالح ، وقدمه بمنه " ، و " والله ولي الصابرين " ، مع مراعاة طبيعة الموضوع الذي تطرق إليه في العرب ،مع تذيل الرسالة بإمضاء المرسل ، وأن يعين فيها تاريخ الإرسال وأن لا ينسى تدوين عنوان المرسل بوضوح .**

**5-الرسالة عبر العصور الأدبية:**

**أ-الرسالة في العصر الجاهلي:**

**لم تكن الكتابة شائعة بين العرب في الجاهلية، ولهذا السبب لم يكن للرسائل دور في حياتهم الأدبية لقلة الدواعي إليها.**

**وقد كانت الكتابة ُ موجودة ً فيها بصورة ساذجة دون تعقيد وتأ نق تبعا لحياة العرب البسيطة،ولايعرف الكتابة إلا أفذاذ ُهم،واستعمل العرب آنذاك رسائل أشارية،وشفوية،والتدوينية الكتابية.**

**ومن البراهين التي تدلّ علی وجود الكتابة بين الجاهليين ومعرفتهم بها، ورود بعض المفردات في أشعارهم أوكلامهم واستعمال الألفاظ التي تدلّ علی الكتابة مثل «القلم» ،و«الدواة »،و«المداد»،و«اللوح»، والنباتات،«الصحف»، و«الكتب»، و«العسيب»، و«الرق» و «الكتاب»، و «الزبور» والقرطاس والقلم غيرها**

**والعظام- و أشهر أنواع العظام التي كانوا يكتبون علیها«الكتف» و الأضلاع و كان يكتـَب علیها الوحي.  
واستعمل الجاهليون كتف الحيوان – و هو عظم عريض في أصل كتف الحيوان- للكتابة عليه،والحجارة.**

**ومن الموضوعات التي كان عرب الجاهلية حريصين علی كتابته ،كتابة العهود والمواثيق مع القبائل المهادنة،وحساب تجارتهم ،إذ إن مكة كانت مركزا تجارية لهم،وقد عرفها(حنظلة بن الربيع،المرقش الأكبر،لبيد بن ربيعة...).**

**ب-الرسالة في العصر الإسلامي:**

**عندما جاء الإسلام تغيرت الحال و ظهرت مفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل فرسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ كان يشجّع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة،لذلك وجدناه في غزوة بدر الكبرى يطلب ممن يحسنون الكتابة والقراءة من كفار قريش الذين كانوا أسرى في أيدي المسلمين أن يعلموا عددا معينا من أبناء المسلمين لقاء فدائهم،وما ذلك إلا لخطر الكتابة وعظمة شأنها,فهي كالمال بل أكثر من المال، وقد اتخذ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كُتَّابًا يكتبون له القرآن الكريم، ويكتبون رسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل، وزُعَماء المناطق، وملوك الدول و قد كانت الرسالة أول اتصال بالعالم الخارجي للرسول الكريم و لم يكن لا الشِّعر و لا الخطابة قادرين على أداء الدور العملي الذي تؤديه الرسالة حين تنقل ما يتصل بسياسة الدولة من مراسيم سياسية أو توجيهات أوتعليمات إدارية ومن هذا التاريخ نافس الكاتبُ الشاعرَ والخطيب وأصبح له منزلة خاصةٌ**

**و رسائل صدر الإسلام عموما« غالبًا ما تبدأ بالبسملة ثم يأتي بعدها تعابير من قبيل :من محمد رسول الله أو من خليفة رسول الله ،أو من أمير المؤمنين .وقد تبدأ الرسالة باسم الرسول مباشرة مثل:"هذا كتاب من محمد رسول الله ".وإذا كانت الرسالة موجهة إلى مسلم فإنَّ خير ما تستهل به "سلام الله عليك".أما إذا كانت موجهة لغير المسلم فإن ما تستهل به هو"السلام على من اتبع الهدى" و تأتي بعد السلام مباشرة التحميدات مثل :"فإني أحمد الله"أو "أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو "وقد يرد فيها ذكر التشهد أيضًا أو يكتفي فيها بعبارة :أما بعد."([[6]](#footnote-7)) »**

**ج-الرسالة في العصر الأموي:**

**"واستمرت الحاجة إلى الرسائل،بل زادت في العهد الر اشيدي،وذلك راجع إلى امتداد رقعة الدولة الإسلامية بانطلاق جيوش الفتح إلى الشام والعراق ومصر،وحاجة الفاتحين إلى إخبار الخليفة بأحوالهم،وتلقي الأوامر والتعليمات منه(...)**

**وفي العهد الأموي أوجد معاوية ديوانا خاصا للرسائل،وكان العاملون فيه هم الذين يكتبون الكتب على لسان الخليفة أو الوالي،وقد كانوا يختارون من الفصحاء،وكان كل منهم يحاول إظهار قدراته البيانية حتى ينال حظوة لدى من يعمل معه،وقد أدى هذا إلى ظهور كبقة من الكتاب المحترفين"([[7]](#footnote-8)).**

**وقد كان الخلفاء في أول العصر الأموي يملون على الكاتب نص الرسالة،ثم اختلف هذا الأمر في أواخر هذا العصر،حيث صار الكاتب هو الذي يعد الرسالة،ثم يعرضها على الخليفة.**

**د-الرسالة في العصر العباسي:**

**"في العصر العباسي نشطت الكتابة نشاطا واسعا،وازدادت الحاجة إليها باستقرار الدولة واتساعها وكثرة ولاتها،وكانت الكتابة جسرا إلى أرفع المناصب،وكان من يريد أن يدخل ديوان الرسائل يمتحن امتحانا عسيرا لأنه لابد من إتقان صناعة الكتابة التي تتضمن إتقان اللغة والأسلوب،بالإضافة إلى علم الفقه وشؤون الخراج،وعلم الحساب والإلمام بالكيمياء والطب والنجوم والفلسفة والمنطق،وهذا يعني أنه لابد للكاتب من ثقافة لغوية وأدبية وتاريخية وسياسية،هذا فضلا عن الثقافة الأساس وهي الثقافة الدينية.**

**وكانت الرسائل الديوانية تتناول أعمال الدولة كلها من تولية الولاة وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهد،ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد والأمان،وأخبار الولايات من مطر وخصب وجدب"([[8]](#footnote-9))**

**وعندما قامت الدولة العباسية أخذ خلفاؤها هم الآخرون يولون كتابة الرسائل عناية أكثر من سابقيهم، ولهذا السبب كثر الكُتَّاب، ونبغ كثير منهم في فن الترسل، وازداد التنافس بينهم ولا غرابة في هذا، لأن العمل في ديوان الرسائل أصبح مصدر رزق لهم، وغدا التفوق في فن الترسل وسيلة للحصول على ولاية أحد الأقاليم، بل إنه غدا مؤهِّلاً للوصول إلى منصب الوزارة، ونستحضر في هذا المجال أسماء: يحيى بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأحمد بن يوسف الكاتب، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وعبد العزيز بن يوسف، وضياء الدين بن الأثير وغيرهم ممن أوصلتهم هذه الصنعة وهذا الفن إلى ما كانوا يطمحون إليه من نيل لأعلى المناصب فقد كان لا يصل إلى تولي ديوان الرسائل إلا من حسنت سيرته وذاعت شهرته و كان فارس بلاغة و صاحب إتقان و جودة .**

1. 1- كتاب:محمد مصطفى منصور،صور من النثر الفني في العصر العباسي (القسم الأول)،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،،1998،ص101-112. [↑](#footnote-ref-2)
2. - نهاد الموسى وزملاؤه،منهج قراءة النص العربي،ط1،،منشورات جامعة القدس،عمان،1995،ص38. [↑](#footnote-ref-3)
3. 1-فوزي سعد عيسى،الترسل في القرن الثالث الهجري،دار المعرفة الجامعية، 1991،ص24. [↑](#footnote-ref-4)
4. -المرجع السابق،ص35-36. [↑](#footnote-ref-5)
5. 2- كتاب :دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية،داود غطاشة الشوابكة،مصطفى محمد الفار،ج2،دار الفكر،عمان،الأردن،ص45، 2010 [↑](#footnote-ref-6)
6. - عمر عروة ,النثر الفني أبرز فنونه و أعلامه،دار القصبة للنشر،الجزائر ، د ت،ص33 [↑](#footnote-ref-7)
7. - شوقي ضيف،العصر الإسلامي،دار المعارف،القاهرة،1976،ص465-466. [↑](#footnote-ref-8)
8. 1- كتاب :دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية،داود غطاشة الشوابكة،مصطفى محمد الفار ،دار الفكر،عمان،الأردن،2010،ج2،ص44. [↑](#footnote-ref-9)